AL HIKMAH RESEARCH & PUBLICATION CENTRE
Al-Hikmah International Journal for Islamic Studies & Human Sciences
E-ISSN: 2637-0581

مجلة الحكمة العالمية
للدراسات الإسلامية والعلوم الإتسانية
العدد 7، الرقم 4، ديسمبر 2024
E-ISSN: 2637-0581

ثقافة الصورة وأزمات تواجهها في بلاد يوربا
Image culture and the crises encountered in Yoruba Land

عبد الرؤوف يوسف أونماسا Abdur-Rauf Yusuf Onimasa
قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا
abdur-rauf.oy@unilorin.edu.ng

Article Progress

Received: 2 Aug 2024
Revised : 20 Oct 2024
Accepted: 8 Nov 2024

* Corresponding Authors:

Abdur-Rauf Yusuf Onimasa

E-mail: *abdur-rauf.oy@unilorin, edu.ng*

ملخص البحث

كان الاتصال بالصورة من تلكم التطورات الحديثة في الأوضاع الإنسانية والاجتماعية التي يشهدها شعوب العالم اليوم من تحوّل لسان التراسل والاتصال من مهارة الكتابة إلى عالم الصورة والألوان، بل صارت الحياة لا ترتاح بدونها فكأنها روح الحياة. ويرى الباحث أن لا بد للمجتمع الإنساني – الذي لا يريد أن يتدهور – أن يتمكن من مواكبة هذا التطور السريع المستمر (ثقافة الصورة) ويتأقلم معه حتى لا يعيش في حالة عزلة من عالمه. ويلاحظ الباحث أن بعض اليوربويين لا يرون للصورة التشكلية سوى المتعة الجمالية فاقتصر اهتمامهم على الجمالي البصري دون غيره. لذلك قام الباحث بهذه الورقة العلمية بقصد إحياء عملية الفن التشكيلي في العالم العربي أجمع وفي بلاد يوربا خاصة، لإبراز بعض الأعمال الفنية التي يشهدها العالم الإنساني اليوم في بلاد يوربا من تصميمات وتصويرات وكاريكاتوريات. ويعتني البحث بتوظيف هذا الفن حيث يوجه الناظر إلى قراءة الصورة قراءة لاحرفية، كما يقرب إلى القراء بعض أزمات أثرت بشكل كبير على سلوكية مجتمع بلاد يوربا في شأن الفن التشكيلي، وأدت هذه الأزمات إلى معارف باطلة وثقافات منحرفة في مفهوم الفن. ويعتمد في ذلك كله على المنهج الوصفي التحليلي. وأخيرا، حصل الباحث على الثقافة التي تحدثه الصور التشكيلية في التعبير بالصور والألوان، كما توصل إلى أن هذه الدراسة تساعد القراء في امتلاك الأدوات الفنية التي يفهمون بها أفكار الصورة.

كلمات مفتاحية: الصورة، ثقافتها، القراءة اللاحرفية، التواصل بالصورة، الأزمات تعرقل عن توظيفها.

ABSTRACT

Communication through images is one of the modern developments in the human and social existence that people of the world are witnessing today, which transforms the language of correspondence and communication from the skill of writing to the world of images and colors. Life has become uncomfortable without them, as if they are the spirit of life. The researcher is of the believe that human society which does not want to deteriorate must be able to keep up with this rapid and continuous development, and adapt to it so that it does not live in isolation from its world. The researcher notes that some Yoruba see nothing but beauty pleasure in the visual image, so their interest was limited to visual aesthetics and nothing else. Therefore, the researcher conducted this research paper with the interest of reviving the process of visual art in the Arab world as a whole and in the Yoruba town in particular, to highlight some of the artistic works that the human world is witnessing today in Yoruba people from designs, photography and caricatures. The research is concerned with employing this art, as it directs the viewer to read the image non-literally. It also brings to the readers some crises that greatly affected the behavior of the Yoruba community regarding visual arts. These crises led to false believes and deviant cultures in the concept of art. In all of this, the researcher relies on the descriptive analytical approach. and finally, the researcher realized the offices that visual images create in expressing images and colors. He also concluded that this study helps readers to possess the artistic tools with which they understand the messages of the image.

المقدمة

تعدّ ثقافة الصورة لغة فطرية قديمة جبل الإنسان عليها. ولكن الاكتشاف الإنساني أدركها كالفن وأداة التحدث بعد مضي وقت من الزمن، ولذلك تعدّ من وليد الإنتاج الإبداعي الذي يحدثه الإنسان اليوم، مع أن امتداده الأصلي كائن في الأشياء الطبيعية التي خلقها الله الخالق كالجبال والبحار والأشجار وغيرها، لأنها كلها مطبوعة بالجمال والحسن، وكل ما وجد من الجمال والحسن فهو من صنعه تعالى وخلقه، فسبحان ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ (سورة السجدة 7). وللفن مفهوم عام يشمل كل إنتاج إبداعي من صنع الإنسان، ويعتبر أيضا ركنا أساسيا من أركان الثقافة الإنسانية التعبيرية، بل هو الذي ينبئ عن ثقافة مجتمع ما.

يعرف جميل صليبا صاحب "المعجم الفلسفي" الفن بالمعنى العام والخاص، وقد يفهم من خلال تعريفه: أن الفن مطلق عام يشمل كل أعمال مصدورة من الإنسان سواء كانت فنا لتحقيق الجمال مثل شعر أو موسيقى أو تصوير وغيرها، أو لتحقيق الخير مثل بث الأخلاق الحميدة، أو لتحقيق المنفعة مثل صناعة الملعقة مثلا للأكل والبيت للسكن وهكذا. وذاتي خاص يعتني بجملة الوسائل التي تثير الشعور بالجمال من الفنون المذكورة آنفا. (Onimasa, 2022)

مشكلة البحث:

وإذا نظرنا إلى الفن التشكيلي في بلاد يوربا نجد أنه معدوم التوظيف في توجيه المتلقي إلى كيفية قراءة الصورة واللون. ويسعى هذا البحث إلى حل هذه المشكلة فيقرّب إلى المتلقي بعض الألفاظ التي قد تقرأ من الصورة واللون وبعض الدلالات التي تفسّر له مقاصدهما.

أسئلة البحث:

تتخلص أسئلة هذا البحث في التساؤلات الآتية:

1. هل للصورة ثقافة في بلاد يوربا؟
2. كيف تقرأ الصورة والشكل؟
3. ما هي الأزمات التي تواجه توظيف الصورة في بلاد يوربا؟

أهداف البحث:

- تقريب البعد، وتسهيل الصعب من معرفة قراءة الصورة واللون وفهمهما حسب ما شكلهما الفنان في اللوح المرسل أو المتلقى.
- إحياء عملية الفن التشكيلي في العالم العربي أجمع وفي بلاد نيجيريا خاصة.
- إثارة المتلقين للصورة إلى ما فيها من المثيرات البصرية والإيحاءات الدلالية التي لم تكن توجد في غيرها من المهارات الاتصالية المقروءة أو المسموعة.

منهجية البحث:

ويعتمد الباحث في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي لمعالجة موضوع هذا البحث، وذلك أن المنهج يعينه في

1- عرض الألواح المشكلة للفنانين ووصف كل لوح بما فيها من الأوصاف الفنية كالصور والألوان
2- تحليل مضامين كل من هذه الألواح والمعاني الكامنة في كل، وذلك لكشف إيحاءات الصور والأشكال التي قد يمر عليها المتلقي مرّ السحاب من دون التنبه لها

يفعل الباحث هذا كله بغية الوقوف على جمالية ثقافة الصورة خاصة وللدعوة إلى توظيف الفن التشكيلي بصفة عامة.

الدراسات السابقة:

قد اعترض هذا البحث جملة من الصعوبات والمعوقات، ولعل أبرزها ندرة الكتابات العربية في هذا الموضوع، فلم يقف الباحث على المراجع الكافية والدراسات السابقة لهذا البحث العلمي إلا التي وقف عليها عبر شبكة الانترنت من الكتب المحملة والدراسات السابقة والمقالات المتعلقة به.

وكل ما عثر الباحث عليه لم يربط ارتباطا مباشرا بهذا الموضوع إلا بعضه، أمثال: **التأثير العاطفي في الصور التشكيلية: نماذج من غلاف كتب الأدب العربي في بلاد يوربا،** لأونماسا، عبد الرؤوف يوسف. (2022م) وهو بحث مقدم للدكتوراة في اللغة العربية وآدابها، جامعة ولاية كوارا، مليتي، نيجيريا، وكذلك مقالة "**التواصل الثقافي للصورة المرئية**"، www.balagh.com، اطلع الباحث عليه بالتاريخ: 2020/7/22م، الساعة: 9:20 صباحا. و**التصوير أنواعه وحكمه،** لعبد الله عبد الحميد الأثري مكان الطبع غير مذكور، دار ابن خزيمة، غير مؤرخ. و"**سيمائية الصورة في تعليم اللغة العربية**" لبدرة

كعسيس، (2010/2009م)، هو بحث لنيل شهادة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، قسم اللغة العربية والآداب، جامعة فرحات عباس (سطيف) الجزائر.

معنى بعض الكلمات الواردة في العنوان

الصورة: في المعجم الوسيط هي الشكل والتمثال المجسم في مثل قوله تعالى: ﴿في آي صورة ما شاء ركبك﴾ (سورة الانفطار آية 8). وتستعمل بمعنى الصفة في مثل قولك: صورة المسألة أو الأمر أي صفتها، وبمعنى النوع في مثل: هذا الأمر على ثلاث صور. وصورة الشيء: ماهيته المجردة وبمعنى خياله في الذهن أو العقل. (Arabic Academy, 1972)

وقد تستعمل الكلمة كذلك في المجالات المختلفة لمعان تناسب كلا منها تجسيدا ماديا أو تخيلا نفسيا. يقول صاحب المعجم المفصل في الأدب إن الصورة هي الشبه والمثل، وهي التي تقابل المادة، لأن الصورة إما تجسيد مادي كالصورة التي ينحتها المثّال أو يرسمها الرسّام، وإما تخيل نفسي يتخيله الأديب في كتابته. وهي في كليهما تعكس الملامح الأصيلة كلا أو بعضا. والصورة عند الأديب تتحول إلى تشبيه، أو استعارة، وهي التي تدعى الصورة البيانية. وتعتمد على الخيال والشعور، كما تعتمد على العقل والثقافة. (Attuwanjy, 1999)

ويقصد بها في هذه الدراسة العمل الفني (Art work) أو اللوحة التي أنتجها الفنان، وسكب فيها أفكاره ووحيه وعواطفه عن طريق وسائل وأدوات تلوين وأجهزة مختلفة. وهي تتكون من لون وشكل ومضمون ومادة، كما أنها لم تعد مجرد نسخة أو محاكاة للعالم الإنساني فقط، بل يقصد بها الصورة المنظمة أو المتشكلة (Structured Image).

ثقافة الصورة: المقصود منها هو توظيف الصورة وجعلها قراءة تقرأ من رموزها وأشكالها ودلالاتها الفنية.

بلاد يوربا: تقع بلاد يوربا جنوب نهر النيجر، وتمتد من حدود هذا النهر شرقا شمالا حتى تكتسح الأراضي المنحدرة وإلى المحيط الأطلسي جنوبا وحدود الداهومي غربا.

ويعود تاريخ قبائل يوربا في هذه البلاد إلى نحو ألف سنة، وكان يعمرها قوم من البرابرة والزنوج والنوبة، قبل نزول يوربا الذين يرجعون أصلهم إلى العرب. وأقدم بلاد يوربا جميعا هي مدينة إليفي (Ile-Ife) ثم أويولي (Oyo-Ile) ثم إيكويي (Ikoyi)، وهذه المدن الثلاث هي التي كانت بمثابة الأصل لسائر بلاد يوربا البائدة منها والقائمة حتى اليوم، ومنها نزحت القبائل المنتشرة وأسست جميع البلاد الحاضرة. (Al-ilory,1978)

- **طبيعة الكون وفنية المخلوقات**

الصورة باب واسع مؤثر جدا، خصوصا بعد إحداث التطور التكنولوجي لمختلف الأجهزة البصرية التي تساعد على نقل المعارف الفنية من الفنان المرسل إلى المتلقي المشاهد عبر الشاشة التلفيزونية والفيديو والاتصالات الاجتماعية الحديثة. بل هي وسيلة التواصل الاجتماعي الحديث، من إرسال المعلومات والأفكار وتعبير العواطف والأخيلة لمعالجة القضايا الاجتماعية، والانحرافات السياسية.

وفي محاولة الاكتشاف عن حقيقة الفن في ما قبل التاريخ، فكر الباحث في بدايات الفن قبل توافر العلوم الحديثة، وقبل اكتشاف الإنسان له كعمل فني أو قبل إبداعه له كوظيفة. وفي هذا المضمار، يمكن القول بأن الله سبحانه وتعالى هو الذي أبدع هذا العمل الفني، إذ إنه خلق كل شيء وأحسن خلقه، يقول سبحانه وتعالى: (ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين) (سورة الحجر 16)، ويقول: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) (سورة ق 6)، بل تستمد منه العلوم الحديثة مددا من المعارف والخبرات، قال جل شأنه: (واتقوا الذي أمدكم بما تعملون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون) سورة الشعراء 132-134.

عرف الإنسان الأول الفن منذ نعومة أظفاره على ظهر الأرض، حيث وجد أمامه أنواعا من الإبداع الطبيعي الفائق، فالكون كله مثال بالغ للجمال والجمال لله. إن الكائنات كلها كانت من مظاهر الجمال الطبيعي التي فطرها الله من حيوان وجماد ونبات وو...، ولا

بد أن ترى آثار الحسن والجمال فيها. لذلك، تدفع الإنسان رؤية هذا الجمال في نفسه أو غيره من الخلق إلى التسبيح الجميل والتقديس الكبير لله الخالق البارئ المصور، فيقول: (... فبتارك الله أحسن الخالقين)، ويقول الله جل شأنه: (الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) (سورة غافر آية 64).

شكل 2.1: زهرة حمراء ومتفتحة

شكل 2.2: سماء زرقاء

شكل 2.3: طاؤوس

شكل 2.4: حمار وحشي

شكل 2.5: زرافة

مهما بلغ الإنسان من الثقافة العلمية والتطور الفني فلا تزال تعتريه يد النقص والعيب، بل لا يزال في عجب من الجمال الطبيعي ويستمد مددا منه في فنونه المتنوعة. فإذا

ما تأملنا (شكل 2.1) الزهرة الحمراء والمتفتحة، بما حولها من الخضرة، و(شكل 2.2) السماء الزرقاء، أو أمعنا النظر في (شكل 2.3) الطاؤوس وألوانه، أو (شكل 2.4) الحمار الوحشي وجمال تخطيطه، أو (شكل 2.5) الزرافة ونسب تكوينها والبقع اللونية الواقعة على جسدها تبين لنا الجمال الإلهي، ونحسّ علاقة تربط الشكل بالبيئة من حيث التكوين والألوان، كما ندرك فنية الطبيعيات في المخلوقات كلها.

فالسؤال الذي قد يطرح نفسه هو: إذا أرجعنا خلق الفن إلى بداية الكون وأسندنا الفن الأول إلى الله سبحانه وتعالى فهل يعني ذلك أن الله فنان؟ وهل أعماله الفنية تقبل النقد كما تقبله أعمال الفنانين المعاصرين؟.

إن مفهوم الفن في هذا الصدد يختلف تماما عن مفهومه في العمل الفني، والله سبحانه وتعالى جميل ويحب الجمال، فعن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "إن الله جميل ويحب الجمال". ومخلوقاته كلها جميلة في معنى العمل الفني المعاصر من الخير والمنفعة والجمال، وكل ما خلقه سبحانه وتعالى خير وجميل ينتفع به الإنسان، ولكن لا يسمى عملا فنيا، إذ كل عمل فني يمكن التدخل في تصحيح خالقه وإرشاد مبدعه، وتعالى الله عن التصحيح والإرشاد.

وجوهر هذه النظرة هو أن الناس جميعا يمتلكون كل القدرات الممكنة في الإبداع الفني، من المنظر الطبيعي دون تدخل بشري، كما أن المنظر الطبيعي هو الفلسفة الأولى التي انبثقت منها باقي الفلسفات والفن الفطري الذي نشأت منه جميع الفنون. ومن هنا يفهم أن الطبيعة تمد الفنان بالعناصر والفنان ينظم هذه العناصر فيجعلها فنا من الفنون الجمالية الحديثة.

عالمية الصورة وبرقية تواصلها

لقد تحول الشكل اللفظي البطيء مع الصورة التقليدية إلى شكل خطابي مرئي متسارع مع الصورة الحديثة. (Attawaasulu 2020) وتتمثل هذه الصورة في الشكل الخطابي في عالمية الإنسان حيث يستعين الإنسان المسافر إلى بلد لا يفهم شكله اللفظي (لغته الرسمية)

بالصورة المشكلة على الجدران أو غيرها من الصور التي قد ترشد وتنير الطريق للمتلقي الضال.

ومن جانب آخر، نعيش في هذا العصر مع الشبكة العنكبوتية التي تستجد لنا عدة من مواقع التواصل الاجتماعي مثل فيس بوك، وتساب، إستغرام، وغيرها، حيث تظهر فيها لغات متعددة لا كلغاتنا المعتادة، ومن بين هذه اللغات المخترعة في الشبكة العنكبوتية وأبلغها رسالة وفنية هي صور ورموز. ومن هذه الصور والرموز ما يفهمها المبتدئ والخبير بكل سهولة مثل: ☺ فهذه صورة يستوردها بمعنى التبسم أو الضحك في حالة السرور، ☝ وهذه تعني معان شتى اعتبارا إلى سياق الكلام فقد تعني واحدة أو إشارة إلى ما في الأعلى، 👍 تستخدم هذه لإشعار شخص على عمله الجيد، 🖐 تعني هذه التوديع أحيانا أو خمسة، ☠ تستعمل هذه على إحساس بالخطر، ❤ تستخدم هذه على حب شيء.

ومنها ما لا يفهمها إلا خبيرها وممارسها مثل: 🕊 تستخدم هذه على حالة السلام والأمن، 🌏 تستعمل بمعنى العالم، ☹ فهذه الصورة على عكس ما في الأعلى من نوعه فهي تستخدم بمعنى الحزن والبكاء، 😐 وتعني هذه الصمت أو السكوت على أمر ما وهكذا...

وإن كانت هذه الصور وأمثالها من الصور المتكلمة تستعين دائما بالنص أو اللغة المكتوبة التي تسهل للمتلقي فهمها ومعناها.

ومن الجدير بالذكر، أن لغة يوربا غنية جدا بالقيم الثقافية التي تستحق البحث والدراسة في ثقافة الإنسان المعاصرة، ومن ضمن هذه القيم أن لهذه اللغة مساهمات في الحضارة العالمية اليوم حيث أنها في عقود من الزمن الغابر قدمت لليوربويين أهمية الرمز والترميز وأنظمة الاتصال عبر الصور والألوان وما يسمى بأروكو (Aroko).

كان أروكو وسيلة غير لفظية لتوليد المعنى: رمز سيميائي معقّد، متأصل ثقافيا وراج لقرون كثيرة قبل انتشار الثقافة الغربية في نيجيريا..(Ashafa, 2013)

وقد أيّد أَوْبَادَوْكُنْ (Opadokun) هذا الزعم، ووصف أروكو بأنه نظام تقليدي غير لفظي للتواصل بين اليوربويين، وقد كان رائجا قبل ظهور الأوروبيين في نيجيريا. وعلى الرغم من أن هذا النظام لم يحظ باهتمام أكاديمي في المنهج الأفريقي، فإن ذلك لا يعني أنه لم يعد قيد الاستخدام في الوقت الحاضر، ولكنه يفقد أهميته بسرعة. فهو جهاز سيميائي أصلي في اليوربا، يتضمن إرسال عنصر أو عدد قابل للجمع من العناصر مثل الأشياء أو المواد بأعداد مختلفة، إلى شخص أو مجتمع يمكن لجهاز فك التشفير أن يتوقع منه استنتاج قطعة من المعلومات. (Ashafa, 2013)

ثقافة الصورة في بلاد يوربا

لقد وجدت الصورة فرصة الإعمال الفكري في ميادين الفنون والعلوم حتى غدت لغة معاصرة، فيها أنواع من التعبيرات والأفكار هي أبلغ وأسرع من السرد الكتابي أو الخطاب الشفهي، إلى أن بلغت الصورة واللون مبلغ الضرورية لحياة المجتمع والفرد، ذلك أن لكل صورة ولون وقعا في نفس المشاهد، ووقع كل شيء يعبر عن حياته، وبالاختصار، إن الصورة واللون حياة لكل شيء، وتعبير في كل شيء.

والعيب كل العيب هو أن يكون هناك مجتمع من المجتمعات المعاصرة يحسب الصورة عملا حرفيا فحسب، وينظر إليها من الجانب المنفعي فقط، دون جانب المتعة الجمالية الفنية. لقد قامت الثقافة الاتصالية منذ القديم على عديد من الأساليب التي سهلت لها عمليات الإبداع والعمل في التواصل الثقافي الحاضر. واعتاد اليوربويون في إبلاغ قصدهم وإنشاء أفكارهم على الإشارات والرموز والألفاظ قديما، وبلغت بهم هذه الأساليب إلى وجود الصور في الحضارة البشرية التواصلية اليوم في تلخيص القصة وفي معالجة القضايا السياسية والفكاهية والتسلية ونقل المعلومات وغيرها. وإلى القارئ نماذج من أصناف الصور الفنية قام بها اليوربويون في مختلف الحضارة التواصلية:

1- **التمتع بالفن:** لقد عثر الباحث على شاشة الإنترنت قديما عملا فنيا يدعو إلى استحسان العمل الفني في إبداعه وجودة صناعه، حيث أبدع الفنان طبيعتين اثنتين في أربعة طبائع على حدة التقليب:

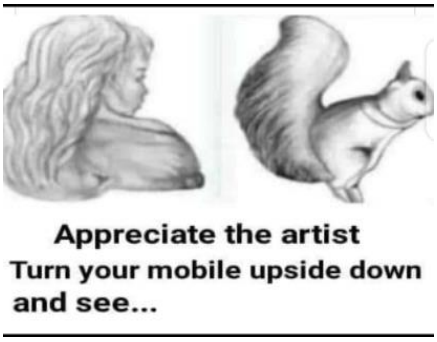

وبعد تقليب هذا العمل الفني، يشاهد المتلقي منظرا آخر دون الذي شاهده في الأول

2- التسلية بالأعمال الفنية:

عندما قضى الإنسان يوما طويلا في العمل وهو محتاج إلى التسلية والاستراحة، يمكنه قضاء بعض الوقت في أجمل الصور التي يمكن أن تهدئ روحه وتعطيه صورا من التسلية والاتصال. ومن تلكم الصور التي قد يستريح بها المتلقي الآتية:

فهذه العتبة مضحكة ومحزنة، وهي في أمر نيجيريا حينما يحتفل أهلها بالعيد الستيني بعد الاستقلال، فرسم الفنان صورة شخص منغمس بالترف يهنئ أخاه المدقع الفقير الذي يحمل شعار بلاده النيجيرية بحلول العيد الستيني، ففي هذا العمل دلالة فنية كثيرة، تفوق مجرد التسلية والفكاهية.

3– نقل المعلومات وتبليغها عبر الصورة

يمكن أن تمنح الصورة أفكارا ومعلمات في اتخاذ قرارات أفضل في المستقبل القريب أو البعيد أو في تخلق بخلق حسن، يقع هذا غالبا مع الأشخاص الذين يعانون من الاكتئاب أو مشاكل القلق. فتكون الصورة مساعدة لهم على التعامل مع حفظ عرضهم أو تعزيز ثقتهم بأنفسهم. فالصورتان الآتيتان مثال جميل لذلك:

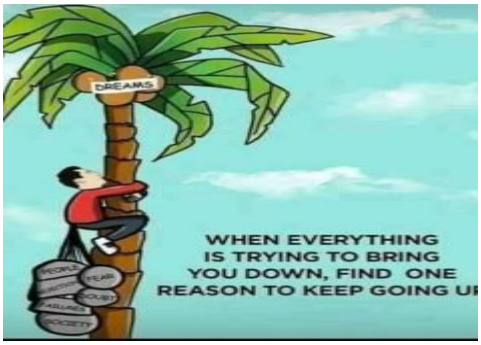

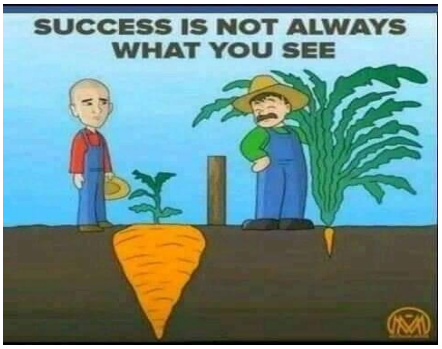

4- معالجة القضايا السياسية بالصورة

في كثير من الأحيان، يفشل قادة الحكومة في تبني وتنفيذ السياسة التي يعرفون أنها تنفع للمجتمع في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ويسعون في لذات أنفسهم. ولا يقف المواطنون اليوم عند وضع اليد على الذقن أو القيام بالدعاء عليهم فحسب، بل بالغوا في استخدام تكنولوجيا الاتصالات الحديثة لإزعاج مثل هذه القادة وتعرض لدسّ عرضهم بأنواع من الصورة الكاريكاتورية، أمثال ذلك ما يأتي:

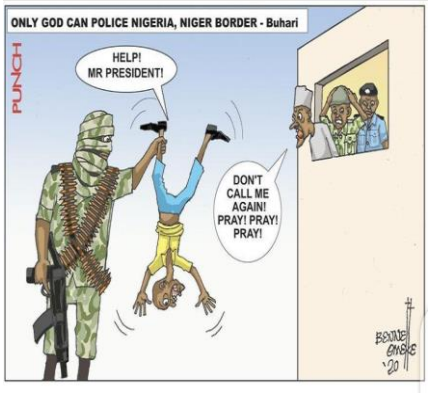

5- صناعة الأشعار والألوان

يمكن العثور على مثال جيد للتواصل من خلال الصور والألوان باستخدام الرموز التعبيرية في شعارات الدول ومعالجة القضية السياسية. فعلى سبيل المثال، تؤدي الصور واللون دورا رئيسيا في صناعة علم نيجيريا (Flag of Nigeria)، وشعار نيجيريا (Nigerian Coat of Arms).

6- التواصل بأغلفة الكتب

يتكون تصميم غلاف الكتاب من نصوص وصور ورموز، توحي إلى الناظر شتى المعاني والمقاصد.

ولقد حاول الباحث وسعى إلى استثمار بعض أغلفة كتب الأدب العربي في فهم الدلالات الخطابية التي كانت تثيرها عتبة غلاف الكتب، فوجدها لا يقل في الدرجة الأهمية عن المتن السردي، بل تكاد تساوي قيمة المتن نفسه من حيث البلاغة والإبلاغ.

وبالتالي نموذج من أغلفة الكتب العربية للمؤلف اليوربوي:

هي مسرحية "الحصاد" كتاب صغير الحجم من نوعية الغلاف الورقي المقوى على مقدار 230 غِراما. والفكرة العامة في هذه اللوحة هي التنبيه إلى العاقبة التي تنتظر لكل عمل أو زرع قام به المرء، وقد رمز الرسام إلى ذلك بكلمة "الحصاد"، وذلك هو موضوع الكتاب وعنوانه.

نجح الرسام في تجسيم عاطفته بالأخيلة المصورة في صورة تلميذين مجتهدين وآخرين كسولين. واستعان برمز يعرف منه الحصاد في تصميم هذا الكتاب. وهذا الرمز هو الشجر النامي من وراء المجتهدين، وهو إشارة على أن المجتهد مهما طال به الوقت سيحصد ثمرة اجتهاده، أما الكسولان فيخلو مكانهما من الشجر، ذلك أن عاقبتهما الندم والخسران، وبهذا وفق الرسام في اختيار اللوحة الجميلة المطابقة لعنوان الكتاب ومضمونه.

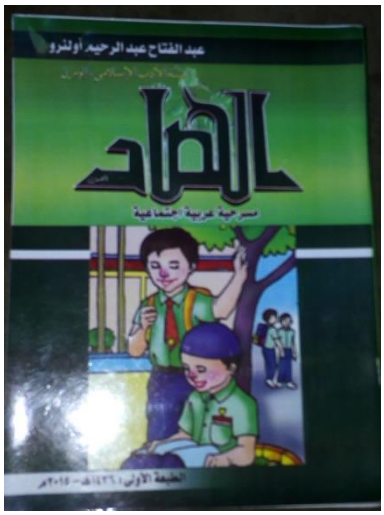

غلاف كتاب الحصاد

أزمات تعرقل عن توظيف الصورة في بلاد يوربا

هناك أزمات كثيرة في شأن الفن أثرت بشكل كبير على سلوكية المجتمعات، وأدت إلى معارف وثقافات منحرفة أثرت في القيم الإنسانية الحديثة، وينبغي على المؤسسات التعليمية والفنية مراعاة مثل هذه الأمور.

الأول: الأزمة العقدية:

ولأن الفن عبارة عن إبداع حر يتصرف فيه الفنان المبدع كيف يشاء في التعبير عن شيء بشكل جمالي وغير تنسيخي، سواء كان صوتيا أو حركيا أو بصريا، وأنه – كما نص به بابلو بيكاسو – ليس بالحقيقة، بل كذبة تجعلنا ندرك الحقيقة، حيث زعم بعض من العلماء أن الفن يسمح للكذب واللهو ويدعو إلى مهاجرة الصدق والحق، وأن الله قد نهانا عنهما في كثير من الآيات القرآنية. وذهب الآخرون إلى أن الفن أكثر ما يتناول الصورة بأشكالها المتنوعة، والصورة في ظنهم محرمة في الشريعة الإسلامية، ذلك أن المصور يريد أن يتشبه بالله الخالق في الإبداع والخلق، أخذا من أقوال النبي صلى الله عليه وسلم: "عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: "ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة". وقوله عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون". وغيرهما الكثير.

فبهذه البراهين والحجج احتج بعض على تحريم الفنون بأسرها ولاسيما ما له علاقة بالصورة، وقالوا: "إن التوسع في التصوير لذوات الأرواح في الكتب والمجلات والجرائد والرسائل خطأ بيّن ومعصية ظاهرة، يجب على كل مسلم الحذر منها، وتحذير إخوانه من ذلك بعد توبة التوبة النصوح مما سلف" (Al-athary,1423)، ولذلك تقاصر المسلمون المستعربون عن أمر الإبداع الفني.

ولكن، على عكس ما يزعمه المحرمون ذهب بعضهم في تأييد جواز التصوير، ويرون الفن كمحاولة إنسانية ورغبة بشرية في تجميل الحياة والاستمتاع بزينتها، وهذه المحاولة أو الرغبة مستوحاة من الإسلام أيضا، وحاشاها أن تحاكي خلق الله أو تضاهيه وتكون سواء في صور الكائنات الحية.

وليس هدف الباحث في هذا الصدد مناقشة أحكام الموضوع من حلال وحرام، ولكن ليلفت الأنظار إلى أن هناك جانبا مهما في الإسلام يعاني الإهمال والحرمان، ألا وهو جانب الفن الإسلامي.

الثاني: الأزمة التربوية

الفن وسيلة تربوية شأنه شأن وسائل التعبير الأخرى كاللغة والكتابة، حيث إن له عناية كبيرة بتعليم الأطفال وتربيتهم، فهو من أدوات الفكر والإدراك والعمل الجسمي، وله دور كبير في تسهيل عمل التربية. لقد غدت الصورة في عصرنا هذا جزءا من المشهد الثقافي، وعنصرا لا غنى عنه في أي مجتمع من المجتمعات، وأضحت ملمحا بارزا يتخلل الأنشطة الإنسانية، على ما بينها من تباين وتنوع، فالحياة اليومية تزدحم بالفعاليات التي للصورة فيها أهمية كبيرة. وليست التربية والتعليم بمنأى عما قيل، بل إن ثقافة الصورة لا تتمظهر بشكل طاغ كما تتمظهر في قطاع التربية والتعليم، فالصورة في المدارس عنصر دال على ثقافة المدرسة، وفي الغرف الصفية تعد مصدرا مهما من مصادر التعليم، وجزءا من الوسائل التعليمية المعينة.(Ka'sis, 2009/2010) فالقاعدة الجيدة للقراء الصغار هي: أن تكون الصورة كبيرة والنصوص صغيرة، بالإضافة إلى أن تكون الكلمات غير مستقلة عن الصور – إذ تبدو دائما ممتزجة معها – وتبديل الكلمات بالرسم والصورة، بالمفهوم الطفلي يفقد الأولى معناها وقيمتها الرمزية، والواجب أن لا يعطى أو لا يقدم للطفل إلا ما هو الأفضل. (Ka'sis, 2009/2010)

فهل يطبّق كثير من المدارس العربية هذه القواعد التربوية في كتبها المدرسية؟. فهل عرفت ما في التربية الحديثة من عناية تامة للصور والأشكال في تعليم الأطفال وتربيتهم؟، لذلك يرى الباحث أهمية اعتناء الباحثين في حقل اللغة العربية بالكتب العربية المقررة في المدارس العربية، في دراساتهم النقدية حتى يستفيد منها المعتنون بأمر التأليف للأطفال.

الثالث: الأزمة المهنية

بتطور الحياة الاجتماعية والثقافة الإنسانية، شاء الله أن يهتدي الفنان إلى التعبير بإنتاجاته الفنية، وكان لا يقوم بعمل فني إلا ويفكر من خلاله الدلالة التي ترمز إليها والمفهوم الذي يوحي للمتلقي الشاهد. فهكذا تسرب العمل الفني إلى أساليب جديدة للتعبير في العالم الإنساني اليوم.

ولكن العمل الفني في نيجيريا عموما، وفي بلاد يوربا خصوصا لا يزال يعتريه بعض التدهور، حيث إن المشاهد لبعض الأعمال الفنية من هذه البلاد يجدها لا تتجاوز الجمالية الأولى (التزيين) التي عرف الفن بها قديما والتي تسبب اشتراءه في السوق. والسبب في ذلك يرجع إلى:

1- الفنان: كثير من الفنانين لا يعتقدون بإنتاجهم الفني رسالة تعبيرية، وذلك أن بعضهم لا يتماشون مع تطور الثقافة الفنية اليوم. وهناك بعض كان سببهم أنهم لا يتقنون العمل، بل يرونه متعة تزيين فقط، فتراهم يأتون بالألوان والأشكال التي لا علاقة لها بالموضوع الذي هم فيه، وإن كانت جميلة في معناها البصري، لا معناها الفني. وبعضهم الآخر يخوضون في هذه الصناعة لعلاقتها بحرفتهم، كالذين يطبعون الكتب مثلا ويقومون بعمل الرسام أو المصصم بأنفسهم في طباعة الكتب، فهم في هذا العمل قد يصيبون أحيانا ولكنه أكثر ما يخطئون فيه، لأنهم يخوضون في حديث غيرهم، فهلا يُتبع العالم الثقافي في هذا ويعطى القوس باريها.

2- العلماء النقاد: إن تقصير النقاد في تحليل عمل فني – تحليلا يظهر للفنانين مشكلة أساليبهم، وأماكن تركيبهم الخاطئة وكل المسائل الأخرى المتعلقة ببناء العمل الفني من الفن التشكيلي — جرّ إلى التهاون بمهمة الغلاف، وفعلا من ذلك اكتفى الكتّاب بتزيين أغلفة كتبهم دون الأخذ بالجمال الفني الذي يدعو إليه الفن المعاصر.

نتائج البحث

وللبحث أهمية التنبه والانتباه لمعالجة الظاهرة الفنية الجديدة التي لها ارتباطها بمهارة التواصل والاتصال في المجتمع الإنساني الراهن، وفي الحياة الثقافية، واتخاذه طريقة في معرفة كيفية قراءة الصورة واللون وهضم معانيها من الألواح المشكَّلة، إذ تعد الصورة وسيلة من وسائل الاتصال والمعلوماتية التي كثر استعمالها عند الأغلبية العظمى في المجتمع. ويتلخص ما توصل إليه الباحث فيما يلي:

- اكتشف الباحث تحت ظلال الصورة وثقافتها أن المنظر الطبيعي هو الفلسفة الأولى التي انبثقت منها باقي الفلسفات، وهو أيضا الفن الفطري الذي نشأت منه جميع الفنون. لذلك كانت الطبيعة مصدرا يمد الفنان بالعناصر، ويقوم الفنان بتنظيم هذه العناصر فيجعلها فنا من الفنون الجمالية الحديثة.
- يبدو للباحث أن الصورة واللون أصبحا لغة العصر، فيهما أنواع من التعبيرات والمعلومات التي هي أسرع من السرد الكتابي أو الخطاب الشفهي، ويعبر بهما الإنسان الحاضر، ويتركان في نفس المتلقي حركة عاطفية يفهم منها مقاصد الفنان، ولذلك يستخدمها كثير من البلدان العالمية في التواصل والاتصال.
- لاحظ الباحث أن لليوربويين إسهامات فنية قدموها للحضارة البشرية في فترات من تاريخهم، حيث إنهم في فترة من الزمن الغابر، عرفوا ما للرمز وأنظمة الاتصال عبر الصور والألوان من أهمية عظمى عن طريق أروكو. وأروكو عند اليوربويين وسيلة

اتصالية يفهمها المرسل والمتلقي على السواء، ويستخدمها أهل البلاد قبل الاهتداء إلى الكتابة. وآثار أروكو هذه قد توجد في عصرنا اليوم – نتيجة التطور التكنولوجي والثقافة الإنسانية الحاضرة – في كتابة الرسائل وإشارات الطريق ورموز التوضيح للأماكن أو التوضيح للتحذير.

- أدرك الباحث أن هناك أزمات أدت إلى تأخر ثقافة الصورة، خصوصا في بلاد يوربا، وجعلته لا يبلغ منزلة التوظيف الفني العالمي، وهذه الأزمات هي: الأزمة العقدية والأزمة التربوية والأزمة المهنية.

خلاصة البحث

لقد حاول الباحث قدر المستطاع أن يستنهض الهمة، وسلك المنهج الوصفي التحليلي في تحقيق هذه الدراسة مع الاعتناء بعملية الفن التشكيلي من خلال بعض الصورة. بدأ بالمقدمة التي بنى الباحث عليها عمله، وفيها تعريف يسير عن العنوان، مشكلة البحث، أسئلة البحث، أهدافه، منهجه والدراسات السابقة.

وبعد هذه، تناول البحث مناقشات البحث بعرض بعض المهمات التي تساعد على نتيجة هذه المهمة أمثال: معنى بعض الكلمات الواردة في العنوان، تسليط الضوء على طبيعة الكون وفنية المخلوقات، وإظهار عالمية الصورة وبرقية تواصلها، ثم ثقافة الصورة في بلاد يوربا وأخيرا عرض الباحث بعض الأزمات التي تعرقل عن توظيف الصورة في بلاد يوربا. وفي الخاتمة يبرز الباحث خلاصة البحث ونتائجه.

شكر وتقدير

يتقدم الباحث بخالص الشكر والتقدير إلى قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة إلورن، إلورن، نيجيريا، لإعطاء بيئة مواتية لإجراء وبناء فكرة هذا المقال.

تضارب المصالح

يعلن ويعترف الباحث بعدم وجود تنافس في المصالح المالية أو الشخصية أو غيرها فيما تتعلق بكتابة هذا المقال.

مساهمات البحث

صمم الباحث هذه الدراسة بعنوان " ثقافة الصورة وأزمات تواجهها في بلاد يوربا" وجمع أهمّ الدراسات السابقة لكتابة هذا المقال.

References

Attawaasulu Thaqoofy li Ssurati Marhiyyah, www.balagh.com, Retrieved by the researcher on 22/7/2020.

Al-athary, Abdullah Abdul Hamid (1423H), *Attaswir anwa'uh wa hukmuhu*, Riyadh, Dar ibn khuzaymah, Saudi Arabia.

Al-ilory, Adam Abdullah (1978M), *Al-islam in Nigeria and Sheikh Uthman bn Fodio Al- fulany*, Nigeria, second edition.

Arabic Language Academy in Cairo (1972H), *Al-Mu'jamu l Waseeth*, Cairo, second edition.

Ashafa, S. A. (2013M), *The Relevance of Aroko as a Communication Device among the Yoruba Native Speakers of Nigeria, The Journal of the Faculty of Art and Islamic Studies* (Vol. 10), Usman Danfodiyo University, Sokoto.

Attuwanjy, M (1999M), *Al-Mu'jamu l Mufassol in Literature*, Beirut, Darul Kutub l ilmiyyah, second edition.

Ka'sis, Badrat (2009/2010M), *Simaahiyatus surar in learning Arabic Language*, Master's degree thesis, Farahaat Abbas (satif), Al-jazeer.

Onimasa, A. Y. (2022), *Emotional Impact of Structured* Images *of Some Arabic Literature Books Cover in Yorubaland*, PhD thesis, Kwara State University, Malete, Kwara State, Nigeria.